الجزء الاول المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ
كانون الثاني ١٩٨٤ م

زفر بن الحارث الكلابي

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

رئيس معهد البحوث والدراسات العربية

حياته وشعره :

هو ابو الهُذيل زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو ابن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب (١) ينتهي نسبه الى هوازن (٢) ولد بالبصرة وكان عثمانياً (٣) وهو سيدٌ شريف (٤) وسيد قيس في زمانه (٥) ، وقيل الهذيل ابنه وبه يكنّى ويقال انه كان يكنى ابا الكوثر والاول اثبت (٦) وكان لزفر أخٌ هو أوس بن الحارث استخلفه على قرقيسيا بعد اعتزامه على ان يغير على بني تغلب ويغزوهم (٧) ، وكان الهذيل فارساً قاتل مع أبيه في أكثر من معركة وحقق انتصارات مشهودة (٨) وعفا عنه عبدالملك بعدما تحوّل الى مصعب وقاتل مع ابراهيم بن الاشتر يوم دُجيل وكان يُحبّه لشجاعته (٩) وكان شاعراً وله ابيات (١٠) ، اما الرباب بنت زفر بن الحارث

---

(١) تجمع المصادر على سلسلة النسب هذه . ينظر انساب الأشراف ٥ / ٢٩٨ والخزانة ٣ / ٣٩٣ .

(٢) ابن عساكر . تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٧٧ .

(٣) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ١ / ٤٧٩ .

(٤) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ١ / ٤٧٩ .

(٥) المؤتلف والمختلف / ١٨٩ .

(٦) البلاذري . انساب الأشراف ٥ / ٣٠٢ .

(٧) البلاذري . انساب الأشراف ٥ / ٣٢٦ .

(٨) المصدر نفسه ٥ / ٣٢٦ .

(٩) المصدر نفسه ٥ / ٣٥٠ .

(١٠) المصدر نفسه ٥ / ٣٠٧ .

فكانت عند مسلمة بن عبدالملك وكان يؤذَن عليه لأخويها الهذيل وكوثر في اول الناس وقتل ابن له في حصار قرقيسيا (١١) وزفر في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الجزيرة وكان من الأمراء ، سمع عائشة ومعاوية (١٢) ونُدب على مائة رجل مع مجاشع بن مسعود لنصرة عثمان بعد ان كتب عثمان الى عبدالله‌بن عامر يعلمه أن أهلَ البغي والعدوان من أهل العراق ومصر والمدينة قد احاطوا بداره فليس يرضيهم بزعمهم شيء دون قتله أو يخلع السربال الذي سربله الله إياه ، ويأمره باغاثته برجال ذوي نجدة وبأس ورأي ولعلّ الله أن يدفع بهم بأس من يكيده ويريده (١٣) فلما كان ببعض الطريق اذا راكب مقبل فلقيه زفر بن الحارث فقال له ماوراءك قال : قتل المسلمون نَعْثلاً . قال : ماتقول : قال : الحقّ وهذه طاقات من شَعره معي فقال له زفر : لعنك الله ولعن ماأقبل منك وماأدبر وشدّ عليه فقتله فكان اول قتيل بعثمان (١٤) .

ويبرز دور زفر سنة ست وثلاثين وهو على رأس عامر (١٥) ثم يكون معه زمام الجمل وكان من آخر من قاتل ذلك اليوم (١٦) ، وعندما أمر الامام علي نفراً بحمل الهودج من بين القتلى كان القعقاع وزفر أنزلاه عن ظهر البعير ووضعاه الى جنبه (١٧) .

ولزفر منزلة رفيعة حققت له مكانة مرموقة وأهّلته لأن يأخذ موقعه في كثير من الحالات فقد أوفده يزيد وجمعاً من الرجال الى الزبير وأمرهم أن يعلموه انه انما بعث بهم احتجاجاً عليه واعذاراً اليه ، وان يحذروه الفتنة ويُعرفوه ماله عنده من البرّ والتكرمة اذا أبرّ يمينه وأتاه في الجامعة التي بعث

(١١) المصدر نفسه ٥ / ٣٠٧ .
(١٢) البغدادي . خزانة الأدب ٣ / ٣٩٣ .
(١٣) البلاذري . انساب الأشراف ٤ / ٥٦١ .
(١٤) المصدر نفسه ٤/ ٥٧٩ .
(١٥) الطبري ٤ / ٥٠٥ .
(١٦) الطبري ٤ / ٥٢٦ – ٥٢٧ .
(١٧) الطبري ٤ / ٥٣٣ .

بها اليه معهم (١٨) . وتظل اخبار زفر مقرونة بمرج راهط لانها تمثل الحدث الكبير في حياته ، والصورة التي التقت في مركزها أكثر الأخبار حدّة ، فقد شهدها مع الضحاك بن قيس ، وصار أهل الشّام حزبين حزب اجتمع الى الضحاك بمرج راهط بغوطة دمشق ، وحزب مع مروان بن الحكم وكان الضحاك بن قيس ومعه النعمان بن بشير الأنصاري يدعو في الشام لعبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم مع بني أمية يدعو لنفسه فالتقى الفريقان في مرج راهط وكان مع الضحاك ستون الف فارس ومع مروان ثلاثة عشر الفاً فقال عبيدالله بن زياد لمروان ، إن فرسان قيس مع الضحاك فلا تنال منه إلا بكيد فأرسل مروان الى الضحاك يسأله المواعدة حتى ينظر في المبايعة لابن الزبير فأجابه الضحاك ووضع أصحابه سلاحهم فقال ابن زياد دونك فشدّ مروان على الضحاك فقتل الضحاك والنعمان ورجال قيس ولما هرب زفر جاءته خيل مروان ففاتها وتحصن (١٩) وتجمع الاخبار على أن زفر كان مع الضحّاك فلما امعن السيف في قومه ولى ومعه رجلان من بني سُليم اختلف في تحديدهما (فهما شابان من بني سليم) (٢٠) وعندما جاءت خيل مروان تطلبهم وخاف السلميان أن تلحقهم خيل مروان قالا لزفر : يا هذا انجُ بنفسك فأما نحن فمقتولان فمضى زفر وتركهما حتى اتيا قرقيسيا (٢١) .

وكانت وقعة مرج راهط في سنة اربع وستين (٢٢) وهي السنة التي كان بها زفر بن الحارث على قنسرين وكان على طاعة ابن الزبير .

---

(١٨) البلاذري . انساب الأشراف . القسم الرابع الجزء الاول / ٣٠٨ .

(١٩) البغدادي . خزانة الأدب ٣ / ٣٩٣ . (٢٠) الطبري ٥ / ٥٤١ .

(٢١) وينظر مروج الذهب ٣ / ٨٧ – ٨٨ وتذكر بعض الروايات انه فر يومئذ عن ثلاثة بنين له وغلام فقتلوا (بلدان ياقوت / ٧٤٤) .

(٢٢) الطبري ٥ / ٥٣٤ .

وفي الاخبار التاريخية احداث ومواقع ، واسماء لامعة قد تقترن أو تعرف بموقعة ومن خلال كل مسألة من هذه المسائل يصاغ الرأي الذي يحدد الموقع أو الفكرة التي تتحدد في اطار فكرة الحدث ، وهذا ماجرى العرف عليه حتى أصبح حالة ثقافية لكثير من الدارسين والباحثين بسبب هذه الشرائح المقطعة ، والأخبار المبتورة والحالات التي ظلت ملازمة . وربما تكون هذه الانطباعات التي علقت تمثل وجهاً واحداً من وجوه لم تطرق ، أو جانباً واحداً من جوانب لم يعرض لها . أو سمة واحدة من سمات لم تناقش ولكن الحكم الذي ينتهي اليه المؤرخ والدارس والباحث يظل أسير هذا الجانب الواحد والسمة المفردة ، ويبقى هذا الرجل أو تلك الظاهرة أو صورة الموقعة محصورة في دائرة هذا التصور فتفقد كثيراً من خصائصها ، وتضع اجزاء كبيرة من حقيقتها ، وتفصل بشكل غير مقصود عن حلقات مترابطة قد يكون مجموعها يُعطيها صورة مغايرة لما ألفه الناس عنها أو تعارفوا عليه من أحوالها ، أو قطعوا بحكم قد يكون بعيداً عنها . وفي أخبار التاريخ احداث كثيرة من هذه التصورات ، (فصفين) لها صورة واحـــدة . و (الحجاج) له وجـــه واحد و (المختار الثقفي) و (عبدالرحمن بن الاشعث) لهما تصور واحد ، وتبقى الوجوه الاخرى التي توحدت فيها هذه الشخوص او تلك الاحداث غير واقعة في دائرة الاكتمال والتحقق لتبرز القضية الكاملة التي عاشتها او الإطار العام الذي أخذه كل واحد من هؤلاء ، وهي حالة لاتقتصر على التاريخ ولا تقف عند الأدب وانما تتجاوز هذه المباحث لتمتد الى كل ظاهرة انسانية أو حالة تحتاج الى احاطة شاملة او اكتمال فهمي يكشف عن الظاهرة بما يحقق لها الوجوه الكاملة أو التصور العام .

لقد تركت هذه الحالة مجالاً واسعاً لكثير من الاحكام الاضافية أن تعدّل ماتفق عليه الى حَدّ ما واصبح مقولة عند كثير من الباحثين ، فظلمت في اطاره أحداث ، وشوهت معالم ، وطُمست آثار ، وعُزلت قدرات كان لها دورها في الاحداث التاريخيـــة ، وصُبّت انطباعات على كثير من الوقائع

بسبب القناعات السريعة التي تركتها بعض الأحكام ، حتى أصبح التاريخ شرائح غير متكاملة ونماذج غير موصولة ، وظواهرغير مترابطة في كثير من اقسامه .

ان هذه الحالة توجب على الدارسين اعادة النظر لا في احداث التاريخ ككل وهي مسألة غير يسيرة ، وانما في طبيعة كل جزء من اجزائهوتقليب الوجوه الاخرى ، ودراسة الحالة الكاملة واستيعاب الاحداث المتداخلة لتكون الصورة واضحة المعالم ، بيّنة القسمات متوازنة في الاحكام وإلاّ بقيت الصورة ناقصة ، والحدثُ بحاجة الى مايكشف عن المعالم الأخرى التي تعطيه وجهه الحقيقي ، وتمنحه قدرة المواجهة على الوضع الطبيعي في سلسلة التو اصل التاريخي .

و (زفر بن الحارث) و (مرج راهط) مسألة تاريخية تكشف لنا عن حقيقة المسألة المطروحة في مواجهة الموقف والصورة التي بقيت تعيش في الذهن العربي باعتبارها حالة من حالات التمزق ومحاولة من محاولات التوثيب لاسقاط الدولة العربية بمعزل عن الجذور الحقيقية التي ولدت هذا الاحساس والتنافس الشخصي والاهواء الفردية التي اذكت شعور الاستحواذ وهي حالات لايمكن ان تدرس بعيدة عن هذا الوضع الذي ظل يحكم التنافس ، وعندما تهيأت الفرص الكفيلة بانضاج الفكرة والاحساس بالذات الواحدة تلاشت او خفت على الاقل مشاعر الذات الفردية لتتحـــول الى إحساس عام بالمصلحة القومية والتوجه الانساني الذي يجمع الأبناء في اطار الحكم المتفق عليه . والاخبار كلها تؤكد في ذكريات (مرج راهط) انّه لما عقد يزيد لابنه معاوية ألزمه الفقهاء والرواة وصرف اليه وفود العرب فلما أدركته الوفاة قيل له : أوصِ واستخلف قال والله ماذقت حلاوتها فأصلي بمرارتها ، ان يك خيراً فقد استكثر منه آل ابي سفيان ، وان يك غير ذلك فوالله ما أحبُّ أن أزّودهم الدنيا وأذهب بوزرها الى الآخرة ولكن ليُصَلِّ بكم حسّان بن مالك ابن بحدل اربعين ليلة وتشاوروا في امركم واستودعكم الله ثم مات وحَسّان

ابن مالك بن بحدل على الجُندين فاسطين والأردن والضحاك بن قيس الفهري على دمشق والنعمان بن بشير على حمص وسعيد بن مالك بن يزيد الكلبي ثم العُليمي على قنسرين وعبيدالله بن زياد على العراق فوثب كل جند على عاملهم ، فوثب زفر بن الحارث على سعيد بن مالك فأخرجه من قنسرين ودعا الى طاعة ابن الزبير ، وبايع النعمان بن بشير بحمص لابن الزبير (٢٣) .

إن الموقف التاريخي المتأرجح بين تردد مروان بن الحكم وهو يُصبح رسولا للضحاك بالبيعة لابن الزبير ، وبين ادعاء حسّان بن مالك بن بحدل الخلافة بعد أن عهد اليه أن يصلي بالناس وبين تطلّع الضحاك بن قيس وهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، يُظهر طاعة بني أميّة والشكر لمعاوية ويدس الى هذا الحي من قيس أن ابن الزبير أولى بالأمر ، ثم همّ بأن يبايع لابن الزبير .

إن هذا الموقف الذي تراخت فيه قدرة الحاكمين ، وتأججت مطامح المقتدرين الذين وجدوا في هذا التراخي فرصـــة وهم يجمعون هذه الجموع ويعتمدون الآلآف من القبائل لتحقيق تلك المطامح كان سبباً من اسباب التنازع والاقتتال وصورة لما تخفيه الصدور . ولابد لنا ونحن نقف عند احداث مرج راهط من الأوليات التي اوقدت جذوة هذا النزاع وهي اوليات لها صلة بالجانب القبلي الذي ظلت جذوره تسرج أسباب الخصومة وتشـــعل عوامل النزاع . وأوليات لها صلة بحب النفس وامتلاك ناصية الملك وهي توجهات ظلت تتحرك في عصور الدولة كلما وجدت الفرصة متاحة ولكن الدولة تبقى لها قدرتها على تجاوز هذه التناقضات . فالعصر كان عصر انتقال وفتح وتعريب وبناء الشخصية التي حرصت الدولة على استكمال شروطه وتحديد هُويته وان الدولة كانت تشعر وهي تقف على عتبة المرحلة الجديدة ان رسالتها في توطيد دعائم العهد الجديد كان يفرض عليها ان تستوعب دورها في هذا البناء وقدرتها في

(٢٣) نقائض جرير والاخطل ٦ / ٧ .

مجابهة التحديات المفروضة وهي تظهر على شكل حركات مناوئة أو تيارات جديدة أو ثورات متمردة تثيرها العصبية تارة ، وتحركها المصالح تارة أخرى ، وتؤجج أوارها النزعات الفردية الطامحة وأن اهداف هـــذه التوجهات كانت تلتقي في تفتيت هذا الكيان وتنزع الى اسقاط دوره التاريخي متخذة من بعض المواقف حججاً للمقاومة واسباباً للتمرد وعوامل تجميع القوى لايقاف المسيرة التي بدأت تأخذ طريقها في نشر رسالة الاسلام وترسيخ اسباب المبادئ الخيرة التي حملتها هذه الأمّة وهي تمتلك قدرة المجابهة والتحدي .

من هنا كانت الصراعات الداخلية التي اثارتها بعض هذه الاسباب تدخل في هذا الاطار العام الذي اخذ برقاب بعض الحركات لتتحول الى اقتتال دامي ، وتمزق قومي واسع وصراع قبلي غير محدود . ولكن الحصيلة النهائية لكل هذا التحرك كان الدولة العربية التي استطاعت ان تضع الدعائم الأولى لبناء الفكر واقامة المجتمع وترسيخ الأسس السليمة في بناء المسيرة العلمية والثقافية والحضارية للدولة العربية .

وتؤكد معظم المصادر ان زفر بن الحارث دخل قرقيسيا في المحرم سنة خمس وستين وكان معه خلق من قيس فرسان ورجال (٢٤) واقبل عبدالملك ابن مروان يريد زفر بن الحارث فلما نزل بقرقيسيا أقبل على اصحابه فقال : واللهِ اني لاكره أن أخلف هذا الرجل ورائي وأسير الى غيره وقد علمت أنه ممن يبغضنا ويتوالى آل الزبير ثم ارسل اليه عبدالملك بن مروان يدعوه الى طاعته فأبى عليه زفر بن الحارث وخاف منه خوفاً شديداً ولم يخرج اليه ، فأمر عبدالملك بن مروان بالمجانيق فركبت ثم نصبت على حصن قرقيسيا وجعل القوم يرمون الحصن بالحجارة رمياً متداركاً وثلمت المجانيق من المدينة بُرجاً مما يلي

(٢٤) البلاذري . انساب الأشراف ٥ / ٣٠١ .

حسان بن مالك بن بحدل وحُميد بن حُريث بن بحدل . فقال زفر (٢٥)

لقد تركتني منجنيقُ ابن بحدل أخاف من العصفور حين يطير

مُلحّاً عليّ بانحجارة دائباً لأني وقورٌ والكريم وقورُ

وهي صورة تكشف عن مبلغ الايذاء الذي حملته قذائف المنجنيق وهي تصيب المدينة ، والذعر الذي نشرته داخل الحصن حتى توهم فاصبح يخاف العصفور اذا طار وهي حالة تدل على مبلغ الفزع وشدة الخوف وتحسّب الهواجس . ولكن الشاعر الفارس كان يؤكد كرمه ووقاره ويعبرّ عن احساسه بما يعاني ، ومضايقته وهو يجابه هذه الضربات المتلاحقة . ويستمر الحصار اربعين يوماً فتثلمت معظم بروج المدينة لما اصابها من رمي بالمجانيق (٢٦) ولم يقبع زفر داخل الحصار وانما كان يوالي خروجه للدفاع عن نفسه والمقاتلين الذين معه فقد ذكر البلاذري أن زفر بن الحارث قال لابنه الهذيل بعد أن حاصره عبدالملك .اخرج اليهم فشُدّ عليهم شدة لاتُثني عنها حتى تضرب فسطاط عبدالملك ، والله لئن رجعت دون أن تطأ طُنُب فسطاطه لأضربن الذي فيه عيناك ، فخرج عبدالملك وتقدمت اليمانية فجمع الهذيل بن زفر خيله ثم رماهم فصبروا قايلاً ثم انكشفوا وتبعهم الهذيل بخيله حتى وطئوا اطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ثم كرّوا راجعين فقبّل زفر رأس ابنه الهذيل وقال : يابني لايزال عبدالملك يُحبّك بعدها ابداً . فقال الهذيل : والله لو شئت أن أدخل فسطاطه لفعلت (٢٧) .

واستقر صلح زفر على أن آمنه عبدالملك وابنه وكل من كان معه وعلى وضع الدماء والاموال وان لايقاتل زفر عبدالملك ولا يقاتل له . وقيل : ورجع

(٢٥) ابن اعثم الكوفي كتاب الفتوح ٦ / ٢١٦ – ٢١٧ .
(٢٦) البلاذري . انساب الأشراف ٥ / ٣٠٣ .
(٢٧) البلاذري . انساب الأشراف ٥ / ٣٠٣ .

الى دمشق (٢٨) وكان ذلك سنة احدى وسبعين .

وتوثقت علاقته بعبدالملك فكثرت مجالسته له . ومسايرته في حاشيته (٢٩) ، ودخل زفر على عبدالملك فأجلسه معه على سريره . ودخل الأخطل على عبدالملك فرأى زفر بن الحارث معه على سريره فقال ياأمير المؤمنين أيقعدُ زفر هذا المقعد وقد قاتلك وحاول زوال نعمتك وسلبها فقال زفر : إنا كنا قاتلناك بالأمس ثم أرانا الله خيراً مما كُنّا فيه فوالياك ودخلنا في أمرك فنحن اليوم في طاعتك على أشد مما كُنّا فيه من معصيتك فلا تسمعن مايقول هذا ولا قول قومه فإنّا أمسُّ بك قرابة وأوجب عليك حقاً ، وبقي الأخطل يلح على التذكير بالثارات والذحول ويثير عبدالملك كلما وجد حالة من الصلح ولقاءً بين العرب ، ولعلّ قصيدته الرائية التي يقول فيها :

بني أمية قد ناضلت دونكمُ ... ابناءَ قوم هم آووا وهم نصروا
وقيسَ عيلان حتى أقبلوا رقصاً ... فبايعوا لك قسراً بعدما قُهروا
ضَحّوا من الحربِ اذْ عضّت غواربهم ... وقيس عيلان من اخلاقها الضجرُ
بني أمية إني ناصحٌ لكُمُ ... فلا يبيتنَّ فيكمُ آمناً زُفَرُ

تمثل هذا التوجه الذي عبرّ بهذه القصيدة التي تثير في نفس الخليفة ما يدفعه الى تجديد حالة التمزق ، وتبديد الجهود التي كانت تتكاتف لتجاوز المرحلة واعادة لمّ الشمل ، والوقوف بوجه التحديات ، ولم يكتف الأخطل بهذا التحريض وانما يُصبح الفرور لدى الطعان (٣٠) ويفرد له قصيدة يذكر فيها فراره يوم المرج ، ويوغل في هجائه (٣١) ولكن هذا التحريض والاستثارة لم تضعف شخصية زفر الذي تؤكد الأخبار أنه كان موئل الذين يجدون أنفسهم بحاجة اليه ، وتبقى مدائح القطامي شاهدة على مروءته ، لاهجة بما انعم عليه ،

(٢٨) نفس المصدر ٥ / ٣٠٥ ، ٣١٤ .
(٢٩) نفس المصدر ٥ / ٣٠٦ .
(٣٠) نقائض جرير والاخطل / ١١٨.
(٣١) نفس المصدر / ١٢٧ .

ذاكرةً قيامه بأمره حتى رُدّ عليه ماله وجميع ماأخذ منه ووصله ، وقد عبّر الشاعر فيها عن صدق أحاسيسه ، وعمق مشاعره ، وبقيت هذه الأحاسيس والمشاعر خالدة عبر هذه القرون الطويلة وهي تردد الوفاء الأصيل ، وتذكر الذكر الحميد ، وتتغنى بالمآثر الفذة اعترافاً بالفضل ووفاءً بالجميل (٣٢) ، وعندما قتلت تغلب عُمير بن الحُبَاب وقومه أتى تميم بن الحُباب ابا الهذيل زفر يستنجده على الطلب بثأر أخيه (٣٣) ، فكانت استجابته تؤكد التزامه بهذه الدعوة وانتصاره لمن يشعر بظلامته .

واستجار الجامع المحاربي بزفر بن الحارث حين هرب من العراق خوفاً من الحجاج فأجاره الى الشام (٣٤) ، وعندما قدم خالد بن عتّاب فارس تميم ، وكان من اشجع الناس فارساً ، واسخاهم يداً الى الشام استجار بزفر بن الحارث فأجاره ، ودخل على عبدالملك فأخبره ، وامضى جواره فلم يزل مقيماً عنده حتى مات .(٣٥) .

ولما انتهى سليمان بن صرد الى قرقيسيا اخرج اليهم زفر بن الحارث انزالاً وسُوقاً واهدى الى وجوههم الجزر ونحر لسائر العسكر ، وأمر ابنه الهذيل فأقام لهم كلّ ماالحتاجوا اليه وروّوهم ، وكان يرسم لهم خطط الدفاع والمقاومة ، ويُحدّد لهم اسباب النجاح ، وعبأ سليمان الكتائب ، ووجه الى أول عسكر أهل الشام فقاتلهم قتالاً شديداً فنالوا منهم وهزموهم ، وغنموا غنيمةً حسنة ، فبلغ الخبر ابن زياد فسرّح اليهم الحُصين بن نمير في اثني عشر الفاً وبعد معارك طاحنة قتل سليمان بن صرد الخزاعي فأخذ الراية بعده المُسيب بن نَجبة الفزاري فقُتل ثم أخذها عبدالله بن سعيد وهو يقول فمنهم مَنْ قضى نحبه ومنهم من ينتظر فقُتل وأخذها عبدالله بن وال فقُتل وأخذها عبدالله بن حازم فقُتل الى

(٣٢) تنظرقصائد المديح في ديوان القطامي. (٣٣) البكري. معجم مااستعجم ٣ / ٣٣٨ (الكحيل)
(٣٤) ابن عبدربه العقد الفريد ٢ / ١٨ ، ٤ / ١١٥ .
(٣٥) النهشلي . الممتع / ٣٤٨ – ٣٤٩ .

جنب ابن وال وعندما جاء الليل انسحبوا ورجعوا فلما مروا بزفر بقرقيسيا بعث اليهم من الطعام والعلف يمثل الذي كان بعث به في بدأتهم وارسل الأطباء والأدوية (٣٦) .

وكان من حديث عمران بن حَطّان انه لما أطْرَده الحجاج كان ينتقل في القبائل ، فكان اذا نزل في حي انتسب نسباً يقرُب منه ، ولما ضاقت به السُبلّ ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث الكلابي فانتسب له اوزاعياً ، واتاه يوماً رجل ممن رآه عند روح بن زنباع فسلّم عليه فدعاه زفر فقال : من هذا ؟ فقال : رجل من الأزد ، رأيته ضيفاً لروح بن زنباع فقال له زفر : ياهذا . أزْديّاً مرة وأوزاعياً مرة ، ان كنت خائفاً آمنّاك ، وان كنت فقيراً جبرناك ، فلما أمسى هرب وخلّف في منزله رقعة (٣٧) .

ويذكر ابو الفرج أن زفراً كان كريماً مجمعاً لايُحب الفرقة وهي صفة ظلت ملازمة له ، واذا كانت الاحداث قد دفعته الى ان يقف هذا الموقف من الدولة العربية فإنّ الدافع يظل نابعاً من الحرص على مسيرة التوجه ، والدعوة لاختيار الصورة الافضل والطريق الأقوم .

ان هذه الصورة الانسانية الكبيرة والمجد الاخلاقي الشامخ المتجلي في هذه المروءة الأصيلة كان موضع اعتزاز كبير ، ومقصد اصحاب حاجات وجدوا في سلوكه استجابة لما يبغونه من احتياج واعانة ولعلّ قصائد القطامي التي خلد فيها زفر لاحسانه اليه واكرامه له كانت إشارة أخرى الى جملة الاشارات التي زخرت بها حياة هذا الفارس البطل الذي ظل رمزاً من رموز الشاعر جرير وهو يعرض للأخطل ويهجو تغلب (٣٨) .

---

(٣٦) البلاذري . انساب الأشراف ٥ / ٢٠٩ – ٢١١ وينظر تفصيل الخبر في الطبري ٥ / ٥٩٣ ومابعدها .

(٣٧) المبرد . الكامل ٣ / ٨٩٨ – ٨٩٩ .

(٣٨) نقائض جرير والاخطل / ٤٤ .

فعندما أُسر القطامي أتى زفر بقرقيسيا فخلّى سبيله وردّ عليه مائة ناقة وقد استثارت هذه المأثرة شاعرية القطامي فخصه بخمس قصائد من عيون شعره بلغت احداها واحداً وسبعين بيتاً والثانية ستة وستين بيتاً وبقيت هذه القصائد موضع اهتمام مؤرخي الأدب والنقاد ونماذج استشهاد لما عبّر فيها الشاعر عن صدق عاطفة وحسن صنيع وكرم محتد .

وتبقى هذه النتف المتناثرة من حياة هذا الشاعر الفارس متباعدة في كتب التاريخ والأدب موزعة في بعض المجاميع الشعرية التي وجدت في شعره ضرباً من الحماسة ، وفي ابياته مجالاً للاستشهاد، وفي اخباره تأكيداً لبعض الاحداث ويذكر ياقوت الحموي خبراً عن المدائني يذكر فيه انه صنف كتاباً في اخبار زفر بن الحارث وقرأه ياقوت بخط ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري (٣٩) ولكن أخبار هذا الكتاب لم تصل ، ولم يشر ياقوت الى الابواب التي طرقها والجوانب التي عالجها ، وينفرد بذكر اسم تل يقال له تل زفر بن الحارث الكلابي وهو مالم اجده في مصدر آخر (٤٠) .

شعره :

وشعر زفر الذي اصطبغ بلون سياسي متميز ، وقيل في معارك كان لها صداها في الاحداث التاريخية التي شهدها القرن الأول الهجري ، كان يمثل اتجاهاً واضحاً من حيث المعالجة والتعبير والاحساس وقد انحسرت مواضع استشهاده في الجوانب التي لم تبتعد في حدودها عن المساحة المحصورة في هذا الاطار ، والخاضعة لهذا التوجه التاريخي وعُرفت شخصيته ضمن اعداد من الولاة الذين خرجوا على طاعة الدولة بعد أن أصبح هواهم زبيرياً ، وتحملوا ماترتب على هذا التوجه ، ومن الطبيعي أن تصبح احاسيسهم وهم يدافعون عن وجهة نظرهم ملونة بهذا اللون ، ومقترنة بهذه الاشارات بعد أن أحيطوا

(٣٩) ياقوت . معجم البلدان ٤ / ٣٦٩ . (٤٠) ياقوت . معجم البلدان / ٦٦٤ .

بأسباب الدفاع والهجوم ، وادخلوا في نطاق الخارجين على النظام فهو لم يجد نفسه في عداد الشعراء الذين استقرت بهم الأحوال فانصرفوا الى الاغراض التي تفرضها عليهم طبيعة الحياة ، ولم يألف جانب الدعة ليتخذ من الشعر وسيلة للتعبير عن الحياة الناعمة أو الهادئة التي ألفها الآخرون من الشعراء وانما وجد في الشعر اداته التعبيرية ، وعرف في مضامينه اهدافه التي نصب لها نفسه ، وزفر لم يعرض في قصائده للخلافة او الخلفاء الامويين ، ولم نجد عنده الى مايشير الى مثل هذا التوجه وانما كانت قصائده تعرض لبعض خصومه الذين يوغلون في ايذائه ، ويتجاوزون حدود المروءة ، واصبح شعره صورة لحركته ووجهاً من وجوه حياته القتالية وهو ينتقل من معركة الى معركة ومن واقعة الى واقعة وليس غريباً بعد هذا ان نجد مفرداته وهي تتحدث عن (القتل) و (الحرب) و (الثأر) و (البيض الرقاق) و (القتلى) و (المنايا) و (الجرد) و (المشرفية) و (القنا) و (السيوف) و (الرماح) و (النصال) وهي مفردات تتكرر في بعض الأحيان أكثر من عشر مرات وتقترن بكل ما يعطيها شدة المصاولة وحدة المطاولة واحتدام التلاقي وقسوة الصراع الذي أخذ برقاب بعض القبائل ، ومن الطبيعي ان تتردد في ثنايا قصائده شخوص خصومه ممن حاولوا التنكيل به أو كسر شوكته .

فعندما يشير عمرو بن الوليد على عبدالملك بقتله يعمد الشاعر الى هجائه بما يضعف مركزه (٤١) . وعندما يجد قيس عيلان تتوانى عن إدراك ثأرها يأخذ نفسه بهجائها ، ويدعوها الى أن تسترد كرامتها ، وتستعيد مكانتها (٤٢) .

ولحسان بن بحدل في أبيات زفر نصيب يتأرجح بين الخوف من إيذائه والانتقام منه لما اقترفه بحق مدينة زفر التي حاصرها والكيفية التي استخدم فيها

(٤١) تنظر القطعة رقم (٣) .

(٤٢) تنظر القطعة رقم (٩) .

المنجنيق والاسوار التي تهدمت من جراء الرمي المتوالي (٤٣) .

وتبقى (كلب) الخصم الذي توجه اليه سهام الشاعر ، (٤٤) يرتفع صوته بالانتشاء عندما يتمكن منها (٤٥) .

ويَغيضه ان ينسب لغير قومه ، وتؤذيه تقوّلات المرجفين الذين يحاولون اضعاف حميته ، وتفتيت قوته ، ونزعه من قبيلته ، برومون من فعلتهم هذه عزله واسقاط هيبته ، فبشر بن مروان يرسل الى قيس رسالة يطلب فيها ان يتخلوا عنه لانه من غير المعقول ان يقتلوا انفسهم مع رجل ليس منهم وانما هو من كندة ، وتقع هذه المقولة على الشاعر موقعاً غير محمود فينبري للدفاع عن نفسه بما يبطل هذه المقولة ، ويسقط هذا الادعاء (٤٦) .

وينطلق مديحه من ايمانه بالدور البطولي الذي يؤديه الفرسان ، فيدعو الله أن يجزيهم خيراً لما يقدمونه من أعمال محمودة ، وفعال مشهودة وتتحدد معاني مديحه في تكريم الصفات التي وجد الناس فيها صوتاً للمروءة وتخليداً لمآثره فممدوحه سعيد يلاقيه بالتحية والترحاب .

ان ايمانه بالنهاية المحتومة وجرأته في اقتحام المخاوف وتربيته التي وجدت في هذ اللون من الحياة هدفها قد اختارت لولده هذيل الطريق نفسه وكانت شجاعة ولده هذا تثير في نفسه الوان الاعتزاز ، وتبعث في أعماقه أسباب التواصل لمثل هذا التوجه والتربية (٤٧) .

ويمدح (جدار بن عباد) وهو يتحصن في بعض مدن الجزيرة ويدعوه الى التمسك بموقفه ويؤمله بوصول (الغوث) (٤٨) وتكبر صيحة الثأر في

---

(٤٣) تنظر القطعة رقم (١١) .
(٤٤) تنظر القطعة رقم (١٧) .
(٤٥) تنظر القطعة رقم (٢٣) .
(٤٦) تنظر القطعة رقم (٢).
(٤٧) تنظر القطعة رقم (٧) .
(٤٨) تنظر القطعة رقم (١٢) .

نفسه وهو يُذيق ابناء بحدل الهوان بعد أن يُصبحهم بالبيض الرقاق والوشيج المقوّم (٤٩) .

وكان بكاؤه حاراً وهو يرثي أصحابه ، ولوعته حزينة وهي تتعالى وفاءً لاولئك الرجال الذين اندفعوا بكل حماس ، فالعين تجود بانسكاب دموعها لتبكي عاصماً وابن الحباب بعد أن قتلته تغلب ، وتظل منزلة هؤلاء رفيعة في حسابه ، كبيرة في تصوره ، وان واحداً من هولاء لايعد له مائتان من خصومه ، وإن كلّ قتيل من أبناء قومه كريم في حين يعد قتلى خصومه من الكلاب (٥٠) وتتكرر مثل هذه الصور وهو يثأر لعمير بن الحباب من بني جُشم جموعاً (٥١) وعمير هذا كان موضع عتاب من الشاعر إثر الحرب التي وقعت بين تغلب وقيس (٥٢) ويظل ابن الزبير الأمل المرتقب في تصور الشاعر لما علقه عليه من آمال ، وعرفه فيه من شجاعة ، ويبقى خصومه من ابناء بحدل هم الاعداء الألداء الذين لم يظفر بهم ليشفي منهم غليله (٥٣) .

ولم يكن الانصاف الذي عودنا عليه بعض شعراء العربية بعيداً عن سلوك هذ الشاعر وهو يو جه خصومه وهم يقودون جُرداً للمنية ضمّرا . وكما كانت قصائد الانصاف موزعة بين قوم الشاعر وقوم خصومه فقد كانت القطعة (٥٤) تجسيداً لهذه الروح واعترافاً بقدرتهم على الثبات وصبرهم على الموت . فكان شعره شعر ابيات ومقطعات . .

إن محاولة تحليـــل ماتبقى من شعر هـــذا الفارس تترك لنا مجال النظر في جمع الاشتات المتناثرة من شعر هؤلاء الذين تركوا بصاتهم واضحة في

(٤٩) تنظر القطعة رقم (٢٤) .
(٥٠) تنظر القطعة رقم (٤) .
(٥١) تنظر القطعة رقم (١٤) .
(٥٢) تنظر القطعة رقم (١٥).
(٥٣) تنظر القطعة رقم (١٨) .
(٥٤) تنظر القطعة رقم (١٣) .

الوقائع التاريخية ، ولكن بقيت أنفاسهم الصادقة وتعابيرهم الدقيقة بعيدة عن التناول . إنها الحالة التي تستحق الدراسة ، والمادة التي تستأهل الوقوف احياءً للمشاعر وتوثيقاً للتوجه الصادق في تقويم الادب ودراسة الاحداث التاريخية الحاسمة .

كانت معركة مرج راهط البؤرة القتالية الحادة في تكثيف الأخبار الخاصة بالمقاتل زفر بن الحارث وما قيل فيها وذكر بعدها من احداث ، وكأن الحادثة بما خلقته من ظروف قد مهّدت لهذه الشاعريّة أن تنطلق ، وللنفس الشعري أن يزدهر ، وللقدرة القتالية ان تعبر عن نفسها وهي تخوض تجربتها وتؤدي دورها وتدافع عن حقيقتها لما رافقتها من احداث وترتب عليها من نتائج ، فشعره جاء صدى لما مرّ به من حالات قاهرة ، وصوتاً لما ازدحمت به خفقات الوجدان وهي تقتحم الردى وتجابه المعارك . وكان سلاحه الذي يقاتل به هو المرهفات البيض ولكن ذكريات احجامه في المعركة واخفاقه في تحقيق ماكان يرجوه منها كان موضع إحباط ظلت آثاره تعتمل في نفسه حسّاً صامتاً ، وتراجعاً ذاتياً ، واكتئاباً مشحوناً بالحيرة والتردد .

وقد وجد خصومه في هذا الجانب موضعاً للولوج ، ومجالاً للتسلل ليتمكنوا منه ، ويضعفوا موقفه فعمرو بن مخلاة كان له دوره في هذه المواقف التي حملت الشاعر على الرد عليه بما يبرر له اسباب التراجع ويدفع عنه حالات الخروج من المعركة (٥٥) ويظل انتماؤه القبلي لقيس هو المعوّل عليه لتمنع عنه الضيم(٥٦) ولم تبتعد عن قصائده أيام قومه وهي تسجل الانتصارات وتكتب أسفار المعارك ، فيوم الشعب له صورته في احاديثه فهو يلوم فيه بني نمير ، ويحمد بني هلال لموقفهم المشرّف وحمايتهم الاحساب ووقع رماحهم وهي تردّ قبل تركيب النصال (٥٧) .

---

(٥٥) تنظر القطعة رقم (١٦) .
(٥٦) تنظر القطعة رقم (١٩) .
(٥٧) تنظر القطعة رقم (٢١) .

وفي قصيدته اليائية احساس عميق بما ظل يعاني منه ، فقد ذهب اليوم الواحد الذي اساءه بصالح أيامه التي أبلى فيها البلاء الحسن ، وبقيت غصة هذا اليوم تلاحقه لأنه خسرَ فيه الشيء الكثير فقد ذهبت المعارك بابن عمرو وابن معن وهمام وكلهم فرسان قومه الذين لايعوّضون وقد تعود وهو الفارس الشاعر على أن يقدم في المعارك مايُحمد عليه ، ويسجل من البطولات ماتشهد له به صولاتها ولم تعرف عنه نبوة قبل هذا اليوم ، ولم تكتب له صفحة من صفحات الفرار في غير هذه المعركة ... (٥٨) .

انها حالة الاحساس بالخيبة التي يتعرض لها الرجال وحالة الاخفاق التي لم يستطع الانسان تجاوزها . ولكنه يظل مؤمناً بالغاية التي عاش من أجلها وقد استوعبها الفارس زفر .

لقد توزع شعر زفر في كتب التاريخ والأدب ، واستُشهد به في المواضع التي وجد فيها حاجة ، فجاءَ مقطعات متناثرة ، وأبياتاً متباعدة ، لايوجد بينهما غرض ، ولا يشد اسبابها رابط ، ولهذا كانت بعيدة عن القصائد التقليدية التي عودنا الشعراء عليها ، فمقطعات زفر لا تفتتح بمقدمات طللية ولا تتداخل في أبياتها تراكيب الصور التي عرفناها في اغراض الشعر ، لأنها في الاصل عبّرت عن حالة الحرب التي خاضها ، والمعارك التي سجلها والرجال الذين تعامل معهم فهي صور معارك وأيام واصوات أحاسيس أثارتها نوازع التأثر لفرسان سقطوا في سوح المعارك أو استشهدوا دفاعاً عن حمى القبيلة ، أو أبلوا البلاء الحسن في يوم من أيامها . واستجابات واعية لموقف الخصوم الذين حاولوا ايذاء الشاعر أو وقفوا بوجه تطلعاته التي كانت تنزع الى ابن الزبير . وهي حالات تترك للشاعر فرصة الوقوف عند أية بداية من البدايات الفنية . التي ألفها الشعراء وهم يمهدون لقصائدهم أو يعبرون عن تصورهم ، أو يبنون

(٥٨) تنظر القطعة رقم (١٦) .

هيكل موضوعات شعرهم ، فالبناء الشعري الذي عرفه الشعراء قد اخذ حجمه ولم يكن شاعرنا في عداد أولئك الشعراء الذين انصرفوا لما وجدناه عندهم .

ان هذه الخصيصة لم تعد مقتصرة على شعر شاعرنا وحده وانما هي خصيصة يمكن أن تلازم كثيراً من هؤلاء الشعراء الذين دفعتهم الاحداث الى ان يعبّروا عن واقعهم ، ويبتعدوا عن المجال الذي يعيش فيه الشعراء وقد استطاعوا ان يحصروا موهبتهم في هذه الحالات الخاصة ، مستلهمين الوقائع والاشخاص الذين تنحصر في حدودهم تصوراتهم . وربما كانت هذه الحالة مدعاة لانحسارهم وسبباً من أسباب وقوعهم في دائرة الظل .

★ ★ ★

— ١ —

وقال زفر بن الحارث :

جزى الله خيراً كلما ذرّ شارقٌ ... سعيداً ولاقته التحيّة والرحبُ
وحلحلةُ المغوار لله جدّهُ ... فلو لم ينله القتلُ بادت إذن كلبُ
بني عبد وَدّ لا نطالبُ ثأرنا ... من الناس بالسلطان إن شبّت الحربُ
ولكنّ بيضَ الهندِ تسعر نارَنا ... إذا ما خبت نار الاعادي فما تخبو
أبادتكمُ فرسانُ قيس فما لكم ... عديدٌ إذا عُدَّ الحصا لا ولا عقْبُ
بأيديهم بيضٌ رقاق كأنها ... إذا ما انتضوها في اكفهمُ الشهب
فسُبُّوهُم إنْ انتمُ لم تُطالبوا ... بثأركم قد ينفع الطالبَ السبُّ
وما امتنع الأقوام عنا بنأيهم ... سواء علينا النأيُ في الحرب والقرب

* الابيات في الاغاني ٢٣ / ١٩٦ — ١٩٧ .

— ٢ —

جعل بشر بن مروان يرسل الى قيس اتقتلون انفسكم مع رجل ليس منكم انما هو من كندة فبلغ ذلك زفر بن الحارث فقال .

لعَلّك يا بشرَ بنَ مروانَ لائمي ... على حين أبدَتْ عن نواجذها الحربُ
فتُخبرَ قومي أنني لستُ منهم ... وتزعُمُ أنّا مَعْشَرَ من بني وهب
أتجعلُ أجلافاً عليها عَبَاؤها ... ككندَةَ تمشي في المطارف والعصبِ

* انساب الأشراف ٥ / ٣٠٣ . وفي البيت الاول اقواء .

— ٣ —

قال زُفر بن الحارث يهجو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط وكان أشار على عبدالملك بقتل زفر :

١— تنبأت عمرو بن الوليد يسبّني ... عمرو استها للصالحين سبوبُ
٢— وكُلّ مُعيطيّ إذا بات ليلةً ... الى شُربةٍ بالرَّقمتين طروبُ
٣— عليك بُحوّارين ناسبْ . تبيطها ... فما لك في أهل الحجاز نصيبُ

* الابيات في بلدان ياقوت ٢ / ٣٥٥ .

— ٤ —

وقال زفر . .

ألا يا عين جودي بانسكاب ... وبكّي عاصماً وابنَ الحُباب
فإن تكُ تغلبٌ قتلت عُميراً ... ورَهطاً من غنيّ في الحراب
فقد افنى بني جُشمَ بنِ بكرٍ ... ونَمْرَهُمُ فوارسُ من كلاب
قتلنا منهمُ مائتين صبراً ... وما عدلوا عُميرَ بنَ الحباب
فقَتلانا نَعُدُّهُمُ كراماً ... وقتلاهُم تُعدُّ من الكلاب

الابيات ١ — ٥ في انساب الأشراف ٥ / ٣٢٧ .
والابيات ١ — ٤ في الكامل في التاريخ ٤ / ٣١٨ .

— ٥ —

وقال بشر بن مروان لزُفر بن الحارث الكلابي
ما رأيت غلاماً قطّ يحُوطُ من ليس منه ويضع من هو منه إلا انت فإنك رجل من كندة فقال زُفر . (١)

فنحنُ بنُو وهبٍ كما قد زعمتُمُ ... بَرئْنَا اليكُمْ من كلابٍ ومن كعب
أنَجْعَلُ أحْلافاً عليها عَبَاؤها ... ككَنِدةَ تَردَى في المطارف والعصب
أولئك أهلُ المجدِ إن كنتَ مِنهُم ... وفي هؤلا من سُوقةٍ شَرَفٌ حسبي

أنساب الأشراف ٥/ ٣٢٧ .
المتع في علم الشعر / ٢٤٨ عبدالكريم النشهلي
(١) ويبدو ان هذه القطعة بقية من القطعة الثانية لاسباب كثيرة يدل عليها سياق القطعة والغرض والمعاني التي يطرقها والأسماء التي تتردد فيها .

— ٦ —

ألا يا كلبُ غيرُك أوجعوني ... وقد ألصقْتُ خَدَّك بالتراب
ألا يا كلبُ فانتشري ونامي ... فقد أوْدَى عُمَيرُ بني الحباب

انساب الأشراف ٥ / ٣٢٥ .

- ٧ -

وقال زُفر بن الحارث الكلابي :

١- ألا لا أُبالي مَنْ أتاهُ حِمامُهُ ... إذا ما المَنايا عَنْ هُذيلٍ تَجلّتِ

٢- يكونُ إمامَ الخَيلِ أوّلَ فارِسٍ ... ويَضرِبُ في أعجازِها إنْ تَولّتِ

البيتان في الحماسة الشجرية ١/ ٣٦١ .
نسب البيتان في الاشباه والنظائر ١/١٠٠ - ١٠١ للشمردل اليربوعي
ورواية الاول . . عن بجير . .
وهما في الكامل في التاريخ ٤ / ٣٣٨ .

- ٨ -

قال زفر بن الحارث يحرض ابن الزبير على ابي حمل احد بني حصين

ألا أبلغ ابا حَمَل رسولاً ... فقد أهديتَ فُطْرك من بعيد

فأنت المرءُ يُعطى كُلّ خيرٍ ... ويُحبى بالولائد والعبيد

انساب الأشراف ٥ / ١٩٨ / ١٩٩ .

- ٩ -

وقال زُفَر بن الحارث العامري :

١- يا قيسَ عَيْلانَ قيسَ الذُّل إنّكُمُ ... في الحرب سيّانِ انتُمْ والعصافيرُ

٢- هَلاّ ثأرتُمْ وأنتم مَعْشَرٌ أُنُفُ ... قَتْلَى بتَدْمُرَ جافَتْها الخنازيرُ

٣- لا تَقْرَبُنّ رُمَيْلَ الهيل ما صدحَتْ ... حَمَامَةٌ إنّكُمُ قَوْمٌ عَواويرُ

٤- لا ينفلت مَطَرٌ منكمُ بوترِكُمُ ... فَعَجّلُوا الثأرَ إلا إنّكُمْ خُورُ

الابيات (١-٤) في حماسة البحتري / ٣٠ .

— ١٠ —

لما مات مروان بن الحكَم وولي ابنُه عبدُالملك كتب إلى أبان بن عُقْبَة ابن أبي مُعَيط وهو على حِمْص يأمره أن يسير إلى زُفَر ، فسار إليه وعلى مقدّمته عبدُالله بن زميت الطائيُّ ، فواقع عبدالله زُفَرَ قبل وصول أبان وكثر في أصحابه القتل ، قُتل منهم ثلاثمائة ، فلامه أبان على عجلته ، وأقبل أبان فواقع زُفَر ، فقتل ابنه وكيع بن زُفَر ، وأدركت طيّء ثَقَل زفر ونساءه ، فاستوهب محمّد بن حُصين بن نُمَير النساء وألحقهنّ بزُفر بقرقيسيا ، فقال زفر :

عَلِقْنَ بحَبلٍ من حُصَينٍ لوَ انّهُ ... تغيّب حالتْ دونَهنّ المصائرُ
أبوُكم أبونا في القَديمِ وإنّني ... لغابركم في آخرِ الدّهرِ شاكرُ

البيتان في انساب الأشراف ٥ / ٣٠٨ .
والكامل في التاريخ ٤ / ٣٣٧ .

— ١١ —

قال زفر بن الحارث يذكر حسان بن بحدل وكان حسان يرمي قرقيسيا بالمجانيق . .

لقد تركتني منجنيقُ ابنِ بحدل ... أخاف من العصفور حين يطير
مُلحّاً عليّ بالحجارةِ دائباً ... لاني وقورٌ والكريم وقورُ

الاول في انساب الأشراف قال . قال زفر أو غيره وروايته أحيد عن العصفور .

— ١٢ —

وقال زفر يمدح رجلاً من بني تغلب يقال له جدار بن عَبّاد وقد تحصّن في بعض مدن الجزيرة وكان ابن زياد على محاربته وحصاره بعد الفراغ من امر زفر .

تمسّك ويحَ أمّكَ يا جِدارُ ... أتاك الغوثُ وانقطع الحصار

انساب الأشراف ٥ / ٢٩٩ .

- ١٣ -

قال زفر بن الحارث بن معان بن يزيد الكلابي يوم مرج راهط .

١- وكُنّا حَسِبْنا كُلَّ بيضاءَ شَحْمَةً
ليالِيَ قارَعْنا جُذامَ وحِمْيَرا

٢- فلما قَرَعْنا النَّبْعَ بالنبعِ بعضَهُ
ببعضٍ أبتْ عِيدانُهُ أن تَكَسَّرا

٣- ولمّا لَقينا عُصْبَةً تَغْلبيّةً
يَقُودُونَ جُرْداً للمنيّةِ ضُمَّرا

٤- سَقَيْناهُمُ كأساً سَقَوْنا بمثلِها
ولكنّهُم كانوا على الموت أصْبَرا

الابيات في حماسة ابي تمام شرح المرزوقي ١/١٥٥ - ١٥٦ وهي في الحماسة البصرية ١/٥٢ ورواية الاول .. ليالي لاقينا ...
وشرح شواهد المغني / ٩٣٠ ورواية الاول .. ليالي لاقينا ..
والثالث : ولما التقينا ...
وتغلبية : بنو تغلب وقوله اصبرا : اي اصبر منا ، شهد لاعدائه ايضاً بالغلبة . وعدا الثالث . في التذكرة السعدية ١/٥٤ - ٥٥ .
والابيات [١ - ٤] منسوبة الى عمير بن الحباب ورواية الاول في انساب الاشراف ٥/٣٢٥ .

(*) • ... تمرةً ليالي لاقينا جذاماً وخميرا ..
والثاني ابت عيداننا انتكسرا
والثالث وانا لقينا من ربيعة معشراً يقودون خيلاً ...
والرابع .. على انهم كانوا ...

— ١٤ —

وقال زفر

قتلنـــا من بني جُشم جُمـــوعاً فما عَدَلتْ جموعهم عُمـــيرا (١)

البيت في انساب الأشراف ٥ / ٣٢٧

(١) هو عمير بن الحباب .

— ١٥ —

وعندما وقعت الحرب بين تغلب وقيس ذَمّ زفر بن الحارث عُمير بن الحباب ابن جعدة السُلَمي وقال له .

١— الاَ مَنْ مُبلغٌ عني عُمَيراً مقالَةَ عـــاتبٍ وعليك زاري

٢— أتركُ حَيَّ ذي كَلَعٍ وكلبٍ وتكسِرُ حَدَّ نابك في نـــزارِ

٣— كمجتنح على احدى يـديه فَخانتْهُ بِوَهْـنٍ وانكســارِ

٤— بتغلبَ تبتغي الأرباحَ جَهْلاً وقَبَلَكَ أَفسـدُوا ربْحَ التجار

الابيات في نقائض جرير والاخطل / ٢٧

والابيات (١—٣) في انساب الأشراف ٥ / ٣٢٠ ورواية الاول . . رسالة ناصح وعليه زار

والثاني . . اترك حي ذي يمن وكلباً وتجعل . .

والثالث كمعتمد . .

وهي في الأغاني ٢٣/ ٢٠٣ — ٢٠٤ ورواية الاول . . رسالة عاتب

والثاني . . . وتجعل حد نابك . . .

والثالث كمعتمد فخانته بوهن ..

وهي في الكامل في التاريخ ٤ / ٣١٢

ورواية الاول رسالة ناصح وعليه

والثاني : اترك حي ذي يمن وكلباً ونجعل حد نابك في نزار

والثالث : كمعتمد . . .. بوهن وانكسار

— ١٦ —

وقال زفر بن الحارث بن عبد عمر و بن معاذ بن يزيد بن عمرو بن الصَّعق ، ويزيد هو عمرو بن خويلد بن نُفيل بن عمرو بن كِلاب بن ربيعة يجيب عمرو بن مخلاة الكلبي يذكر وقعة المرج :

١— فخرَت ابن مخلاةِ الحِمار بِمَشْهَدٍ
عَلاكَ به في المرج من لا تُدافِعُ

٢— عَلاكَ به قومٌ كأنكَ وسَطهم
إذا الحربُ شَبَّتْ ثعلبٌ متطالع

٣— فإن نكُ نازَعنا قُريشاً فإنّهُمْ
أخونا ومولانا الذين نُنازِعُ

٤— فأيّ قَبيلَيْنَا وأُمّك ما يكُنْ
له المُلك تَتْبَعْهُ وخَدُّك ضارع

الابيات في نقائض جرير والاخطل / ١٩ .
والاول والثاني في انساب الأشراف ٥ / ١٤٨ ورواية الاول بالمرج من قد
والثاني كأنك بينهم ..

— ١١٧ —

وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزمان عليكمُ واصابكم مني عذابٌ مُرسَلُ
أيهولنا يا كلبُ أصدق شِدّةٍ يوم اللقاء أم الهويلُ الأولُ
ان السماوة لا سماوةَ فالحقي بالغَوْر فالافحاص بئس المَوْئِلُ
فجنوبُ عكا فالسواحلُ إنها أرضُ تذوب بها اللقاحُ وتُهزَلُ
ارضُ المذلّة حيثُ عقّت أمُّكم وابوكم أو حيثُ مَزّعَ بحدل

الابيات في الأغاني ٢٣ / ١٩٣ دار الثقافة بيروت

- ١٨ -

وقال زُفَر بن الحارث :

١- أفي الله أمّا بَحْدلٌ وابنُ بَحْدلٍ
فَيَحْيا وأمّا أبنُ الزبير فيُقْتَلُ

٢- كَذَبْتُمْ وبيت الله لا تَقْتُلونَهُ
ولمّا يكُنْ يَومٌ أغرُّ مُحَجّلُ

٣- ولما يكُن للمشرفيّة فَوْقكم
شُعاعٌ كقَرن الشمس حين تَرَجّلُ

الابيات (١-٣) في حماسة ابي تمام ٢/ ٦٤٩ - ٦٥١ .
وفي تاريخ الطبري ٥ / ٥٤٣ .
والابيات في انساب الأشراف ٥ / ٣٠٣ ورواية الثالث .. للمشرفية فيكم

- ١٩ -

وكان ممن يتكلم في امر زفر عند عبدالملك خالد بن يزيد بن معاوية فقال زفَر :

أبا هاشمٍ لستَ الحليمَ فتُرتجى
ولستَ أبيّاً صابراً حين تُجهَلُ

ستمنعني قيسُ من الضيم والقَنا
وتمنعني بيضُ تُحَدُّ وتُصْقَلُ

أبعدَ سعيدٍ يومَ قام بخطبةٍ
تزالُ بها عنكَ الخِلافةُ تُجْذَلُ

انساب الأشراف ٥ / ٣٠٦ .

- ٢٠ -

ولما قتل عياش ابن الحُرّ قال زفر بن الحارث :

١- لما رأيتُ الناسَ أولاد علّـة
وأغـرق فينا نزْعَـه كلُّ قائل

٢- تكلّمَ عنّا مَشْيُنا بسـيُوفنـا
الى الموتِ واستِنشاط حَبْل المراكل

٣- فلو يَسألُ ابنُ الحرِّ أُخبرَ أنّهـا
يمانية لا تُشترى بالمَغَـازل

٤- وأُخبِرَ أنّا ذاتُ عِلـمٍ سيُوفُنـا
بأعناقِ ما بين الطُّلَى والكواهـلِ

الابيات (١-٤) في تاريخ الطبري ٦ / ١٣٧ .
والاول والثالث في انساب الأشراف ٥ / ٢٨٧ .

- ٢١ -

وقال زُفَر بن الحارث الكلابي ، سيِّد قيس عيلان غير مُدَافَع :

١- جزَيناهُمْ بيومَ الشعـب يومـاً
رَكُودَ الشمس أغبرَ ذا ظِـلال

٢- ألومُ على القتالِ بني نُمَـير
وأَحمـدُ في القتال بني هِـلال

٣- هُمُ حَامَوْا عن الأحساب لمّـا
رَأوْا شَهْباءَ مَائِلةَ الهـلال

٤- رِمَاحُهُمُ يَرِدْنَ على ثَمـانٍ
وعَشْرٍ قبلَ تركيبِ النّصَـال

الابيات في كتاب الوحشيات / ١٠٤ .

- ٢٢ -

تؤكد كثير من الأخبار ان زفر بن الحارث كان موئل الذين يجدون أنفسهم بحاجة الى من يستنجدون به .

فعندما قتلت تغلب عُمير بن الحُبَاب وقومه ، أتى تميم بن الحُباب ابا الهُذيل زفر بن الحارث يستنجده على الطلب بثأر أخيه ، فغزوا تغلب فأدركوهم بالكُحَيل ، وهو نهر اسفَل من الموصل على عشرة فراسخ فيما بينها وبين الجنوب ، فقتلوا بني تغلب أذرعَ قتل ، ومن غـرق منهم اكثر مُمن قُتل . وقال زفر في ذلك . .

فلو نُبِشَ المقابرُ عـن عُميرٍ فيُخْبَرَ عن بلاءِ أبي الهُذَيـل
غَداةَ يُقَارع الأبطال حـتىً جرى منهم دماً مَرْج الكحيـل

معجم مااستعجم / ٣٣٨

- ٢٣ -

غزا زفر تدمر وعليها عامر بن الاسود الكلبي من بني عامر . ومعه ابنه الهذيل ابن زفر فقتلهم جميعاً ففي ذلك يقول زفر .

يا كلبُ قد كلِبَ الزمان عليكم وأصابَكُم منّي عذابُ تَنَزُّلِ
إن السماوةَ لا سماوةَ فالحقوا بمنابت الزيتون وابني بحـدل

انساب الأشراف ٥ / ٣٠٨ .

- ٢٤ -

وقال زفر بن الحارث . وذكر ابو عبيدة انها لعقيل بن عُلّفة :

أقرّ العيون أن رهط ابن بحـدلٍ أُذيقوا هواناً بالذي كان قُدّمـا
صبحناهُم البيضَ الرقاق ظباتُها بجانبِ خَبْتٍ والوشيجَ المقوّمـا

- ٢٥ -

وجَرْداء مَلّتها الغزاةُ فكلّـها ... ترى قَلِقاً تحت الـرحالة أهضما
بكُلّ فتى لم تأبُرِ النخلَ أمُّـه ... ولم يُدع يومـاً للغرائر مِعكما(١)

الابيات في الأغاني ٢٣ / ١٩٨
(١) : المعكم : المكتنز اللحم .

وقال زفر لخالد بن يزيد بن معـاوية وهو يلح عليهم بالقتال والـرمي :

ابو هاشمٍ عَطّارةٌ فارسـيّةٌ ... مُكَحّلةٌ العينينَ برّاقةُ الفـم
ابو هاشمٍ يَرمي فوارِسَ قومـه ... وأمّا العَدوَّ الابعَدين فما يرمي

انساب الأشراف ٥ / ٣٠٢ .

- ٢٦ -

وقال زفر بن الحارث :

١- أريني سلاحي لا أبالكِ إنّني ... أرى الحربَ لا تزدادُ إلاّ تمادَيا
٢- أتانيَ عَنْ مروان بالغَيب أنّه ... مقيدٌ دَمي أو قاطعٌ من لسانيا

الابيات (١ ، ٥،٦ ، ٧ ، ١٠٢٩ ، ١١ ، ١٢) في بلدان ياقوت راهط ورواية السادس . وتذهب .
ورواية العاشر عشية أجري بالقرينين لأأرى .
والابيات (١ ، ٥ ، ١١) مع اختلاف في الترتيب في المؤتلف والمختلف (١٨٩ ورواية الاول . . ابيتي سلاحي . .
والاول والخامس في المؤتلف ٩٩١ ورواية الاول . .. ابيني سلاحي .
والابيات (٩ ، ١٠ ، ١١) مع اختلاف في الترتيب في المحبر / ٤٩٥ .
ورواية التاسع . . ولم تبل مني . . فراري قتلي
والعاشر . . عشية أجرى بالقري ولا أرى به أحد الإ علي ولاليا
والحادي عشر .. يوم واحد ان فررته . .
والسابع في حيوان الجاحظ ٣ / ٤٢٢ وروايته . . .. لمروان صدعاً
والابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، والبيت .
والابيات (١ ، ٥ - ١١) في مروج الذهب ٣ / ٨٧ - ٨٨ مع اختلاف في الترتيب وبعض المفردات .
فيا راكباً إما عرضت فبلغـن ... كلاباً وحياً من عقيل مـتاليا =

٣- ففي العيس مَنَجاةٌ وفي الأرض مَهْرَبٌ
إذا نحنُ رفّعْنا لَهُنَّ المثانيَـــا (١)

٤- فلا تَحْسِبوني إنْ تَغَيَّبْتُ غـافِـلاً
ولا تفْرَحوا إنْ جئتُكمْ بلقـائيـــا

٥- فَقَدْ يَنبُتُ المَرْعى على دَمِنِ الثّرى
وتَبْقَى حزازات النُّفوس كما هيا (٢)

٦- أتذْهَبُ كَلْبُ لم تَنَلْها رِماحُنا
وتُتركُ قَتلَى راهطٍ وهـيَ ما هِيـا !

٧- لَعمري لقد أبْقَتْ وقيعـةُ راهـــطٍ
لَحِسّان صَدْعاً بَيّنـا متنائيـــا (٣)

= والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر في نقائض جرير والاخطل/ ٢٤ ورواية السابع . . . لمروان صدعاً .
والثامن أبعد بن معن وابن ثور تتابعا ..
والتاسع .. ولم تر مني نبوة غير هذه
والعاشر .. عشية أجري بالصعيد من القوم الإ
والابيات الاول والثاني والثالث والسادس والحادي عشر والثاني عشر في كتاب الفتوح لابن اكثم ٦ / ٢٦١ وفي رواية الابيات اختلاف .
والابيات ١ – ٦ والتاسع في انساب الأشراف ٥ / ١٤١ – ١٤٢ مع اختلاف في بعض الروايات والسابع ورد مصحفا في ٥ / ١٥٧ وروايته .. بيننا متباينا
الابيات (١-١٣) في تاريخ الطبري ٥ / ٥٤١ – ٥٤٢ والكامل في التاريخ ٤ / ١٥٢ والابيات (١-٦) في أنساب الأشراف ٥/ ١٤١ – ١٤٢ مع اختلاف في بعض الروايات مع تصحيف في الخزانة ٣٩٤/١ ورواية الخامس والسادس .
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى له ورق من تحته الشر باديا
ويمضي ولا يبقى على الأرض دمنة وتبقى حزازات النفوس كما هيا
والابيات (١ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١) في الوحشيات / ٥٠ – ٥١ مع اختلاف في ترتيب الابيات ورواية الاول . . أبيني سلامي
ورواية الرابع . . ولا تحسبوا إن جئتكم . ورواية الخامس وقد ينبت
ورواية السابع . . لمروان ..
=

٨- أَبعْدَ ابن عمروٍ وابن معنٍ تتابعا
ومقْتَلِ هَمّـامٍ أُمَنّي الأمـانيـا

٩- فلم تُرَ مِنّي نَبْوةٌ قَبْـلَ هـذه
فِراري وتركي صاحبيَّ ورائيـا

١٠- عَشيّة أَعدو بالقِرانِ فـلا أرى
مِن الناسِ إلا مَنْ عَلَيّ ولا ليـا

١١- أيَذهَبُ يومٌ واحدٌ إن أسَـأتُهُ
بصالح أيامي وحُسْنِ بَـلائيا

١٢- فلا صُلْحَ حتى تَنْحِطَ الخيلُ بالقنـا
وتثأرَ مِنْ نِسوَان كلْب نسـائيا

١٣- ألا ليتَ شعري هل تُصيبَنَّ غارتي
تَنَوخاً وحبيْ طَيِّءٍ مـن شِفائيـا

= ورواية العاشر . . عشية أجري في القرين

(١) المثاني : الازمة ويروى المتاليا والمتالي التي تتلوها أولادها

(٢) إذا نبت المرعى على الدمن كان خبيثاً حسن المنظر وباطنه دوي . يقول فنحن وانتم كذلك نظهر الصلح وقلوبنا تجن غيره .

(٣) يروى متثانيا من الثاني وهو الفساد ويروى متشائيا متفرقاً بعيداً .
في شرح حماسة أبي تمام ٦٤٩/٢٢ دراسة عن اسباب الاختلاف يرجع اليها في الدراسة .
الخزانة ٣٩٣/١ .
وإلى تاريخ ابن عساكر ، وشرح شواهد المغني / ٩٣١ .